اجتهادات
مع جورج إسحق

أكثر من أربعة عقودٍ مضت منذ أن التقيتُ جورج اسحق للمرة الأولى. جمعتنا آمالُ وأحلامُ كبيرة. كانت مساحةُ الاتفاق بيننا فى القضايا السياسية والاجتماعية كبيرةً, وبقيت كذلك. وعندما اندلعت ثورةُ يناير، تصورنا أنها باتت قريبة, قبل أن يبعدها الانقسامُ الذى بدأ بأسرع مما توقعنا. كان طبيعيًا أن تقل مساحاتُ الاتفاق، ولكنها ظلت أكبر من مناطق الاختلاف، بينما ازدادت علاقتُنا فى الوقت نفسه قوةً ومتانة. وهذا طبيعى أيضًا حين يكونُ الاتفاق والاختلاف على شأنٍ عام، وبين من يؤمنون بأن تنوع الاجتهادات ثراء، ويسعون إلى الاستفادة منه.

أحمدُ الله أن علاقتنا استمرت حتى نهاية رحلته فى الدنيا. جمعنا فى السنوات الأخيرة لقاءُ أسبوعى مع عددٍ من الأصدقاء الأعزاء. حضرنا جميعًا، ونادرًا ما كان يحدث، اللقاء الذى كان قبل أيامٍ من رحيله، وكأننا كنا نُودعُ حبيبًا أنعم الله عليه بنعمة قبول الآخر مهما يكن الاختلافُ معه أو عنه، فنال من الحب والاحترام الكثير. ويعرفُ من احتكوا به فى عملٍ عام أو علاقةٍ شخصية، وليس من اقتربوا منه فقط، مزاياه التى جعلته أهلاً لهذا الاحترام وذاك الحب.

يعرفون قوة نزعته الإنسانية. دأب على الدفاع عن الحقوق والحريات دون تمييزٍ على أساسٍ سياسى أو دينى أو جنس, ووقف مع الحق بمقدار ما اهتدى إليه. يعرفون أيضًا مدى شجاعته فى الدفاع عما آمن به بمقدار ما اتسع المجالُ العام لذلك. وكان أحد أول المبادرين إلى العمل من أجل التغيير حين بدا ضروريًا، وقام بدورٍ رئيسٍ فى تأسيس حركة كفاية, التى كان أول منسقٍ عام لها 2004. وألهمت شجاعتُه آخرين اقتدوا به.

كان الراحلُ الحبيب أحد أكثر المؤثرين فى تشكيل مسار التطور السياسى لأكثر من ثلاثة عقود منذ مطلع الثمانينيات, رغم أنه لم يثق فى العمل الحزبى. فى حياته تجربتان حزبيتان قصيرتان فى

منتصف الثمانينيات، وإثر ثورة يناير. كان نشاطُه فى المجتمع المدنى أكثر أهمية وتأثيرًا من أى عملٍ سياسى مباشر.

وليس هذا إلا قليلاً من كثيرٍ يجعلُ فراقه موجعًا وُمّبرحًا بنا. فسلامُ لروحه، وعزاءُ لكل من أحبه.